٦

الإيمان باليوم الآخر

أولًا: الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر

ثانيًا: الأدلة العقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر

ثالثًا: ثمرات الإيمان باليوم الآخر

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان باليوم الآخر

الفصل السادس
الإيمان باليوم الآخر

مقدمة:

الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بوقوعه. ويدخل فى ذلك الإيمان بما بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، ووضع الميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، ومن ثم إلى الجنة ونعيمها أو إلى النار وعذابها[١٥١].

ويمكن تناول ذلك الركن من أركان العقيدة فى أربع نقاط، هى:

- الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر.
- الأدلة العقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر.
- ثمرات الإيمان باليوم الآخر.
- تربية الأبناء على الإيمان باليوم الآخر.

أولاً: الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

ورد الحديث عن اليوم الآخر وما يوجب الإيمان به فى التوراة وما تلاها من كتب سماوية، وفى الإنجيل، وفى القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما فى التوراة، فكان ذلك فى إجابة عيسى ـ عليه السلام ـ عندما سأله قوم من الصدوقين- وهم من اليهود ـ عن القيامة فكان جوابه عليه السلام: [وأما أن الموتى يقومون، فدل عليه موسى أيضًا فى أمر العليقة. كما يقول الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء. فأجاب قوم من الكتبة وقالوا: يا معلم حسنًا قلت][لو٢٠: ٣٧-٣٩]. وقد ورد كلام الله هذا لموسى فى الإصحاح الثالث بسفر الخروج من التوراة [خر٣:٦]، ليفهم منه قيامة الأموات كما أوضح عيسى ـ عليه السلام ـ.

وجاءت آخر وصايا سليمان ـ عليه السلام ـ لتحث على عمل الخير بفعل الأمور التى ترضى الله سبحانه ولا تغضبه، لأن الإنسان محاسب على عمله، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فقال: [واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة][جا١١:٩]، أى إلى حيث الحساب يوم الحساب. وقال: [اتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة، على كل خفىٍّ، إن كان خيرًا أو شرًا][جا١٢: ١٣-١٤].

وجاء بالإنجيل- وفى أكثر من موضع- حديث عيسى، ومن قبله حديث يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) عن [الصدوقين][١٥٢]، [الذين يقولون ليس قيامة][مت٢٢: ٢٣] [مر١٢: ١٨]. والصدوقون هم: طائفة من اليهود كانوا لا يؤمنون بالقيامة ولا بوجود الملائكة ولا الأرواح، وأكثر أعضائها من الكهنة ورؤساء الكهنة[١٥٣].

ومعنى ذلك أنه إذا كانت هناك طائفة من اليهود لا يؤمنون بيوم القيامة فإن هناك آخرين يؤمنون به. ومعنى ذلك- أيضًا- أن الإيمان بيوم القيامة نادت به الكتب السماوية المنزلة قبل الإنجيل. كما أكد عيسى ـ عليه السلام ـ أن التوراة قالت بذلك، حيث قال: [وأما أن الموتى يقومون فقد دل عليه موسى أيضًا فى أمر العليقة][لو٣٧: ٢٠].

وجاء بالإنجيل عن قيام الساعة، ويوم الدين: [وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين فى السماء][مر١٣: ٣٢]. وجاء عن الحساب يوم الدين: [إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين][مت١٢:٣٦]... إلى غير ذلك مما يوضح الإيمان بالبعث والحساب وبالجنة وبالنار.

وفى الإسلام، يعد الاعتقاد باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة أو نار ركيزة من ركائز العقيدة، ودعامة من دعائم الدين. "فاقتضت حكمة الله أن يجعل وراء هذه الدار دارًا أخرى،

يرى فيها المرء جزاء أعماله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. وجاء القرآن الكريم لإقناع الناس بأن تلك الدار هى الحق لينظروا إليها ويقصدوا بما يأتون أو يتركون من عمل وجه الله وثوابه فيها"[١٥٤].

وقد اهتم القرآن الكريم بشأن البعث والدار الآخرة اهتمامًا عظيمًا، بحيث قرن الإيمان باليوم الآخر- فى مواضع عديدة- بالإيمان بالله تعالى. ومن ذلك قوله: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾(البقرة:١٧٧).

وأورد القرآن الكريم اليوم الآخر بأسماء عديدة، بلغت أكثر من عشرين اسمًا، هى: اليوم الآخر، والآخرة، ويوم الدين، ويوم القيامة، ويوم البعث، ويوم النشور، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم الوعيد، ويوم التلاق، ويوم الحشر، ويوم الحسرة، ويوم التغابن، والساعة، والقارعة، والآزفة، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، والغاشية، والميعاد... وكثرة الأسماء للشىء الواحد دليل على عظمته.

كما أخبر القرآن الكريم وأفاض فى الإخبار عن الحساب والجزاء، وعن الجنة، ونعيمها، والنار وعذابها، وعن الحوض والصراط... كل ذلك لتكون لدى المسلم فكرة واضحة وصورة ذهنية جلية عن كل ذلك بما يعينه على تربية ذاته وتحديد مساره وضبط سلوكه فى حياته الدنيا.

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال: "ماذا قدم القرآن الكريم إلى الإنسان– من أدلة– لكى يطمئن قلبه إلى تحقيق أمله فى حياة أخرى تجعل لنضاله فى الدنيا قيمة ومعنى؟... وأقرب ما يلفتنا إليه القرآن، ما نراه فى الواقع المشهود من حياة الأرض بعد موتها، وما نبصره بأعيننا من خروج الحى من الميت وخروج الميت من الحى، توطئة للإقناع بأن الحياة بعد الموت ليست من المستحيل العقلى أو المستحيل المادي"(١٥٥).

فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىء قَدِيرٌ﴾(فصلت:٣٩). وقال سبحانه: ﴿يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾(الروم:١٩).

وقدم القرآن أمثلة نقلها عن حالات تم فيها إحياء الموتى، كتلك الحالات التى أحيا فيها عيسى الموتى بقدرة الله، فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهّ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهّ...﴾(آل عمران:٤٩)... وتلك التجربة العملية التى أجراها إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليتيقن من إحياء الله للموتى، وأوردها القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ

الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٦٠).

كما سلك القرآن الكريم فى إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هى غاية فى الوضوح والسهولة وقدم دليلًا حاجَّ به كل العقول. كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(الروم:٢٧). وقوله سبحانه. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(يس:٧٩)... فالشىء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أعدمه وأفناه. فالذى بنى دارًا ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا فى حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيرًا مما كانت. والذى يصنع آلة من الآلات مخترعًا لها لا يستصعب عليه أن يعيدها كما كانت إذا هو كسرها بإرادته واختياره، إن لم يحولها إلى آلة أفضل مما كانت من قبل"[١٥٦].

ثانيًا: الأدلة العقلية على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

من الأدلة العقلية على البعث ووجوب الإيمان باليوم الآخر، خذ مثالًا من واقع الحياة، لمادة من ضرورات الحياة، تستهلكها كل الكائنات الحية. ولولا قدرة الله التى تعيد– نفس– ما استهلك منها لانتهت الحياة على الأرض. اسأل نفسك: كم كوبًا من الماء تستهلك فى اليوم؟ وكم

تستهلك فى العام؟ وكم تستهلك طوال حياتك؟... واسأل نفسك ثانية: كم يستهلك البشر طوال حياتهم؟ وما مقدار ما تستهلكه كل الكائنات الحية من الماء؟ بل ما مقدار ما استهلكته كل الكائنات الحية من الماء منذ بدء الخليقة وحتى الآن؟؟؟... ثم اسأل نفسك ثالثة: ماذا لو ذهب كل ما استهلك من الماء دون رجعة إلى الأرض؟ أما كانت الحياة قد انتهت بانتهاء الماء من الأرض ومن عدة عصور خلت؟ لكن قدرة الله ﴿الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾(الروم:٢٧)، تعيد ما استهلك من الماء (هو هو) إلى الوجود، لكى تظل كميته فى المعمورة كما هى، وتكفى لاستمرار الحياة عليها. حيث يعاد تجميع الماء من خلال وسائل الإخراج المختلفة لدى الكائنات التى استهلكته فيتجمع جزء منه بالمنخفضات، وآخر تمتصه الأرض، فيظل مخزونًا لحين الانتفاع به أو يفور ينابيع فى مناطق معينة. وثالث يتبخر ثم يتكثف أو يتجمع فى سحب ويعود ماءً إلى الأرض... وهكذا تدور دورته من جديد.

مثال آخر – من الماء أيضًا – يمكنك القيام به من خلال تجربة عملية. فخذ إناءً به كمية من الماء، وارفع درجة حرارته إلى درجة الغليان، ثم استمر فى غليانه... ماذا يحدث؟.. سيتناقص الماء تدريجيًّا نتيجة البخر إلى أن يتلاشى تمامًا ولم يبق له فى الإناء وجود... هل معنى ذلك أنه انعدم من الوجود؟؟ لا، لأنه تحول من حالته المرئية (السائلة) إلى حالته (الغازية) التى لم تعد تراها عليها. ثم عد واسأل

نفسك من جديد: ألا يمكنك أنت (أيها الإنسان الضعيف) أن تعيد الماء المتبخر إلى حالته الأولى؟... لو وضعت سطحًا باردًا أمام البخار، أو مررت البخار فى أنبوب بارد لتكثف الماء وأمكنك تجميعه من جديد فى إناء آخر، وعلى حالته السائلة التى كان عليها من قبل.

انتقل مع هذا المثل من الماء إلى الإنسان، ومن قدرتك المحدودة والمتناهية فى الصغر إلى قدرة الله اللامحدودة ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(النحل:٦٠)، ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(الروم:٢٧)... فالإنسان مخلوق من (مادة وروح) ليعيش فى حياته الدنيا، كالماء (السائل) فى الإناء الأول. وعند (موته) يختفى عن الحياة الدنيا كاختفاء الماء من الإناء الأول، ولكنه لم يختف عن الوجود، لأنه تحول– فقط– من حالة إلى أخرى لم نعد نراه عليها، كتحول الماء السائل إلى (البخار)، إذ الروح قد ذهبت إلى بارئها، والمادة قد تحولت إلى رفاتَ فى القبر أو امتزجت مع التربة... ثم اسأل نفسك إذا أمكنك أنت (أيها الإنسان الضعيف) أن تعيد الماء المتبخر (هو نفسه) إلى حالته السائلة (فى الإناء الثانى)، ألا يمكن للخلاق العليم (صاحب القدرة اللامحدودة) أن يبعث من فى القبور إلى (الحياة الثانية) – الحياة الآخرة؟.

سبحانك يا من بيدك مقاليد الأمور، وأنت على كل شىء قدير.

وسبحانك يا من قلت وقولك الحق ﴿للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾(الروم:٤)، ﴿... أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف:٥٤). ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(الروم: ٢٥-٢٧). ﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾(الروم: ١١-١٢).

ثالثًا: ثمرات الإيمان باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة، منها:

١- الحرص على صلاح العمل فى الحياة الدنيا، لأن الذى لا يؤمن باليوم الآخر، وما فيه من حساب وثواب وعقاب، لن يعمل صالحًا، لأن لا يعمل لما يرجوه من الكرامة فى اليوم الآخر وما يخافوه من العقوبة والعذاب(١٥٧).

٢- التصديق بأن الجزاء الأوفى فى الآخرة، وأن من فاته شىء فى الحياة الدنيا، ولم يحصل على مقابل له، واحتسبه عند الله تعالى، فلن يضيعه الله عز وجل، وسوف يجازيه عليه فى الآخرة، وأن من ظُلم فى الدنيا سيرد الله مظلمته فى الآخرة.

٣- أن يعم الخير والصلاح فى الدنيا بين البشر ويقل بينهم الشر والفساد، أملًا فى الفوز فى ثواب الآخرة، والنجاة من عقابها.

وإنما عنى الإسلام بتلك العقيدة، الإيمان باليوم الآخر، لأنها "أصل عظيم من أصول الصلاح والإصلاح فى العالم". فكلٌ محاسبٌ على عمله، خيره وشره، كبيره وصغيره، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧-٨). "فلو أن الناس جميعًا قد استقرت بهم هذه العقيدة. وآمنوا بها إيمانًا لا يخامره شك، لاستقامت أمورهم، وكثر فيهم الخير والإحسان، وقل بينهم الشر والفساد"[١٥٨]. تلك العقيدة التى ينبعث منها كامل الصفات الإنسانية والاجتماعية، من "الإيثار والتضحية والحب والرحمة وإسداء الجميل والتعاون على البر والتقوى واحتمال مشاق الجهاد والبذل فى سبيل الحق والخير وإقرار المثل العليا فى أرض الله"[١٥٩]. كما أن هذه العقيدة تحرر أصحابها من عبودية الطمع والجشع والأنانية والاستغلال للآخرين، وانتهاك حرمات الغير وإيذائهم، إلى غير ذلك من أشكال المنكر... كل ذلك طمعًا فى جزيل الثواب وخوفًا من العقاب.

رابعًا: تربية الأبناء على الإيمان باليوم الآخر

يمكن تربية الأبناء على الإيمان باليوم الآخر من خلال مجموعة من الإجراءات، لعل من أبرزها موجزًا على النحو التالى:

١- التأكيد على الأدلة النقلية على الإيمان باليوم الآخر، من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الإشارة إلى ما جاء فى ذلك بالكتب السماوية السابقة، كالتوراة والإنجيل.

٢- التأكيد على الأدلة العقلية على الإيمان بالبعث واليوم الآخر.

٣- تعريف الأبناء بما يستتبعه الإيمان باليوم الآخر، بدءًا من الإيمان بحياة البرزخ فى القبر، وما فيه من نعيم أو عذاب، وما يتبع ذلك من البعث بعد الموت، ويوم القيامة وأهواله وما فيه من نشر الصحائف- صحائف العباد- ونشر الميزان حيث توزن أعمال العباد، والحساب لكل امرئ حسب عمله الدنيوى، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة أو النار.

٤- حث الأبناء على العمل من دنياهم لأخراهم، والاستعداد لذلك اليوم الآخر، ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ* إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩]، فيكثرون من فعل الخيرات فى دنياهم ليفوزوا فى أخراهم.

٥- تعليمهم ثمرات الإيمان باليوم الآخر وفوائده.

ويمكن تربية الأبناء، من مراحل طفولتهم، على الإيمان باليوم الآخر من خلال نشأتهم وعيشهم فى بيئة إيمانية: فى البيت، والمدرسة، وفى المسجد، ومن خلال وسائل الإعلام... وذلك بالأسلوب الذى يناسب طفولتهم.

ونسوق لذلك- فى هذا المقام- مثالًا من عهدهﷺ، يوضح أثر البيئة الإيمانية التى يعيش فيها الطفل على تربيته إيمانيًّا... حيث كانت البيوت تعلم الأولاد الصغار مسائل الإيمان فيدركونها، ويشبون عليها. ونلحظ ذلك من خلال ما رواه مصعب الأسلمى رضى الله عنه، قال: (انطلق غلام منا فأتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى سائلك سؤالًا. قال: وما هو؟ قال: أسألك أن تجعلنى ممن تشفع له يوم القيامة. قالﷺ: من دلك على هذا؟ قال الغلام: ما أمرنى به أحد إلا نفسى. قالﷺ: فإنك ممن أشفع له يوم القيامة...)[١٦٠].

وفى سؤال النبى ﷺ الغلام: من علمك هذا؟ دليل على صغر الطفل، وأن هذا الأمر الهام قد قام أحد بتعليمه للطفل حتى سأله النبيﷺ، وكان رد الغلام بقوله: لا أحد، يدل كذلك على أن العلم بهذه المسائل كان مستفيضًا بين أفراد المجتمع، صغيره وكبيره... فالإيمان بشفاعة النبى ﷺ، والإيمان بالحساب، والإيمان بيوم القيامة، والإيمان بالجنة والنار، كان العلم بها إذًا مشاعًا بين الأطفال الصغار، حتى اهتم لها هذا الغلام الصغير فسألها النبى ﷺ، من نفسه، ولكن نتيجة لتشبعه بذلك العلم من بيئته التى يعيش فيها

هوامش الفصل السادس

(١٥١) محمد بن سليمان الأشفر: مرجع سابق، ص٧٠.

(١٥٢) الصدوقون فى (متى ٣: ٧)، (متى ١٦: ٦، ١١، ١٢)، (متى ٢٣: ٢٢، ٣٤)، (مر ١٢: ١٨) (لو ٢٠: ٢٧).

(١٥٣) معجم الكلمات الصعبة للعهد الجديد– ملحق بالكتاب المقدس، ص٥٠.

(١٥٤) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٢٠.

(١٥٥) سعيد إسماعيل على: **القرآن الكريم رؤية تربوية**، مرجع سابق، ص٦٢.

(١٥٦) أبو بكر جابر الجزائرى: مرجع سابق، ص ص١٨٦–١٨٧.

(١٥٧) أحمد مصطفى متولى: مرجع سابق، ص١٠٩.

(١٥٨) عفيف عبد الفتاح طبارة: مرجع سابق، ص:١٢٠.

(١٥٩) عمر عودة الخطيب: **المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٠، ص ٢٠٤.

(١٦٠) رواه الطبرانى والبزار. فى: محمد حسين: مرجع سابق، ص١٤٥.